Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الأثر النحوي في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني

م . م إيمان إبراهيم حسين محمد

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / الجامعة التكنلوجية/ قسم اللغة العربية

The Grammatical Impact on Guiding the Interpretive Meaning of the Qur'anic Text

M.M. Iman Ibrahim Hussein Muhammad
Department of Arabic Language/ Language
Ministry of Higher Education and Scientific Research / University of Technology
iman.i.hussain@uotechnology.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث الأثر النحوي في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني، بوصف النحو أحد أهم الأدوات اللغوية التي أسهمت في كشف المعاني الدقيقة وتعدد الدلالات في الخطاب القرآني. ويهدف البحث إلى بيان دور التراكيب النحوية، والإعراب، وأساليب الحذف والتقديم والتأخير، وكذلك اختلاف التوجيهات النحوية في القراءات القرآنية، في توجيه المعنى التفسيري للنص القرآني وإبراز ثرائه الدلالي. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة نماذج مختارة من الآيات القرآنية وتفسيرها في ضوء التوجيه النحوي. وتوصل البحث إلى أن البنية النحوية ليست مجرد إطار شكلي للنص، بل عنصر أساسي في إنتاج الدلالة وتحديد مسارات التفسير، وأن اختلاف التوجيه النحوي يسهم في إثراء المعنى القرآني دون تعارض، مما يعكس إعجاز القرآن في اتساع دلالاته وتعدد وجوه تفسيره ضمن وحدة المعنى الكلي.

الكلمات المفتاحية:الأثر النحوي، الدلالة التفسيرية، القرآن الكريم، التوجيه النحوي، القراءات القرآنية.

Abstract

This research examines the grammatical influence on the interpretive meaning of the Qur’anic text, considering grammar as one of the most important linguistic tools that reveals precise meanings and semantic diversity within the Qur’anic discourse. The study aims to demonstrate the role of grammatical structures, syntactic analysis (iʿrāb), ellipsis, fronting and postponement, as well as differences in grammatical orientation in Qur’anic readings, in shaping interpretive meaning and highlighting the richness of Qur’anic semantics. The research adopts a descriptive-analytical approach in examining selected Qur’anic verses and their interpretations through grammatical analysis. The study concludes that grammatical structure is not merely a formal framework but a fundamental element in producing meaning and directing interpretation. Moreover, variations in grammatical analysis contribute to semantic enrichment without contradiction, reflecting the inimitability of the Qur’an in the multiplicity of meanings within a unified overall sense.**Keywords:** Grammatical Influence, Interpretive Meaning, The Holy Qur’an, Syntactic Orientation, Qur’anic Readings.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وجعله معجزة خالدة تتجدد دلالاتها بتجدد النظر العلمي في تراكيبه وأساليبه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.أما بعد..يُعدّ القرآن الكريم النص الأعلى في العربية من حيث البناء اللغوي والدقة الدلالية، وقد ارتبط فهمه وتفسيره ارتباطاً وثيقاً بالعلوم اللغوية، وفي مقدمتها علم النحو الذي اضطلع بدور جوهري في كشف العلاقات التركيبية بين عناصر الجملة القرآنية، وتوجيه الدلالة وفق السياق الإعرابي والتراكيب المختلفة. ومن هنا برز الأثر

النحوي بوصفه أحد المفاتيح الأساسية في علم التفسير، لما له من قدرة على توجيه المعنى، وتعدد وجوه الدلالة، وكشف ثراء النص القرآني وعمق إعجازه البياني.إن دراسة الأثر النحوي في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني تمثل مدخلاً علمياً بالغ الأهمية لفهم العلاقة بين البنية اللغوية والمعنى التفسيري، إذ لا يمكن الفصل بين التركيب النحوي والدلالة، لأن المعنى في القرآن الكريم يتشكل في ضوء العلاقات الإعرابية، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، واختلاف القراءات، وغيرها من الظواهر النحوية التي أسهمت في إثراء التفسير وتعدد وجوهه دون إخلال بوحدة المعنى الكلي.

أولاً: أهمية الموضوع

تتجلى أهمية هذا الموضوع في جملة من الاعتبارات العلمية والمنهجية، من أبرزها:

١. إبراز الدور المحوري للنحو العربي في فهم النص القرآني وتفسيره تفسيراً دقيقاً.

٢. الكشف عن العلاقة العضوية بين البنية النحوية والدلالة التفسيرية في القرآن الكريم.

٣. بيان أثر التوجيه النحوي في تعدد المعاني التفسيرية دون تعارض دلالي.

٤. الإسهام في تعميق الدراسات اللغوية القرآنية وربطها بالتحليل الدلالي الحديث.

٥. توضيح جانب من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال التنوع النحوي في التراكيب.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب علمية ومنهجية، من أهمها:

١. الاهتمام الشخصي بمجال الدراسات القرآنية واللغة العربية وعلوم التفسير.

٢. الحاجة إلى إبراز الدور الحقيقي للنحو في توجيه المعنى القرآني بعيداً عن الاقتصار على الجانب الشكلي.

٣. قلة الدراسات التي تجمع بين التحليل النحوي والدلالة التفسيرية بصورة تطبيقية متكاملة.

٤. أهمية الموضوع في تعزيز الفهم العلمي للقرآن الكريم لدى الباحثين وطلاب العلم.

٥. ارتباط الموضوع بقضايا التجديد في الدراسات اللغوية والقرآنية المعاصرة.

ثالثاً: فرضية البحث

ينطلق هذا البحث من فرضية مفادها أن البنية النحوية في النص القرآني ليست بنية شكلية محايدة، بل هي عنصر دلالي فاعل يسهم بشكل مباشر في توجيه المعنى التفسيري، وأن اختلاف التوجيه النحوي يؤدي إلى تنوع في الدلالة التفسيرية دون أن يمس وحدة المعنى القرآني الكلي.

رابعاً: هيكلية البحث

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى مبحثين رئيسين:المبحث الأول: الأثر النحوي في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني: التأصيل المفاهيمي والإطار النظري المطلب الأول: مفهوم الأثر النحوي والدلالة التفسيرية وعلاقتهما بالخطاب القرآني المطلب الثاني: نشأة التوجيه النحوي للدلالة في كتب التفسير واللغة العربية.المطلب الثالث: مرجعيات التفسير النحوي وأثر مدارس النحو في توجيه المعنى القرآني. المبحث الثاني: تطبيقات الأثر النحوي في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني المطلب الأول: أثر الإعراب والتراكيب النحوية في تعدد الدلالة التفسيرية.المطلب الثاني: أثر الحذف والتقديم والتأخير في توجيه المعنى التفسيري.المطلب الثالث: أثر الاختلاف النحوي بين القراءات القرآنية في تنوع الدلالة التفسيرية.

المطلب الأول: مفهوم الأثر النحوي والدلالة التفسيرية وعلاقتهما بالخطاب القرآني

يُعدّ النحو العربي أحد أهم العلوم اللغوية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بفهم النص القرآني وتفسيره، إذ لا يمكن إدراك المعاني الدقيقة للخطاب القرآني بمعزل عن البنية التركيبية التي تنتظم فيها الألفاظ وتتشكل من خلالها العلاقات الدلالية. ومن هنا برز مفهوم **الأثر النحوي** بوصفه ذلك الدور الذي تؤديه التراكيب الإعرابية والبنى النحوية في توجيه المعنى وتحديد وجهته التفسيرية داخل النص القرآني، بما يتيح تعدد الدلالات وتنوعها دون إخلال بوحدة المقصد العام.أما **الدلالة التفسيرية** فهي المعنى الذي يستنبطه المفسر من النص القرآني في ضوء أدوات اللغة وعلومها، وفي مقدمتها النحو، إذ يعتمد التفسير في كثير من مواضعه على فهم العلاقات الإعرابية بين الكلمات، وتحديد مواقعها الوظيفية داخل الجملة. وقد أشار الزركشي إلى أن معرفة الإعراب من أهم مفاتيح التفسير، إذ به يُعرف المعنى ويُزال الإشكال [1]وتكمن العلاقة بين الأثر النحوي والدلالة التفسيرية في كون النحو يمثل الإطار البنيوي الذي تتشكل داخله الدلالة، فالمعنى في القرآن الكريم لا ينفصل عن الترتيب النحوي، بل يتحدد من

خلاله. فاختلاف الإعراب قد يؤدي إلى اختلاف في المعنى، كما في تعدد وجوه القراءات والتوجيهات النحوية التي أشار إليها العلماء بوصفها سعة في الدلالة لا تناقضاً فيها.وقد أكد سيبويه هذا الارتباط الوثيق بين التركيب والمعنى، حين جعل النحو وسيلة لضبط الكلام العربي وفهم مقاصده، مبيناً أن تغيير مواقع الكلمات يؤدي إلى تغير في الدلالة [2]وهو ما يعكس أن البنية النحوية ليست شكلاً خارجياً، بل نظام دلالي متكامل. وفي الخطاب القرآني يتجلى هذا الترابط بأوضح صوره، إذ يقوم النص القرآني على نظام لغوي دقيق تتداخل فيه الوظائف النحوية مع الدلالات التفسيرية، بحيث يصبح لكل حركة إعرابية أثر في توجيه المعنى. وقد أشار ابن هشام الأنصاري إلى أن " الإعراب فرع المعنى، أي أن المعنى لا يُفهم إلا من خلال ضبط العلاقات النحوية بين مكونات الجملة [3] كما يبرز دور التفسير النحوي عند المفسرين الكبار، حيث اعتمد الطبري على التحليل اللغوي والنحوي في توجيه المعاني التفسيرية، مبيناً أن اختلاف الإعراب يؤدي إلى اختلاف في الفهم، مع بقاء المعنى العام محفوظاً [4].وكذلك نجد الزمخشري في الكشاف يولي العناية الكبرى للتوجيه النحوي باعتباره أساساً في كشف وجوه البلاغة والدلالة [5].ومن جهة أخرى، يوضح ابن جني أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة عضوية، إذ إن تغير البنية النحوية يؤدي إلى تغير في المعنى أو توسيعه، مما يدل على أن النحو ليس علماً شكلياً بل أداة تفسيرية عميقة [6]وعليه يمكن القول إن الأثر النحوي في النص القرآني يمثل عنصراً مركزياً في بناء الدلالة التفسيرية، حيث تتداخل فيه القواعد النحوية مع المعاني المقصودة، لتنتج نصاً ذا طاقة دلالية متعددة الوجوه، دون أن يخرج عن وحدته الكلية. ومن ثم فإن دراسة العلاقة بين النحو والتفسير تكشف عن عمق البناء اللغوي للقرآن الكريم، وتبرز جانباً مهماً من جوانب إعجازه البياني الذي لا ينفد معناه ولا تنقضي دلالاته.

المطلب الثاني: نشأة التوجيه النحوي للدلالة في كتب التفسير واللغة العربية

يُعدّ التوجيه النحوي للدلالة أحد أبرز المسارات العلمية التي نشأت في رحم التفسير القرآني والدرس اللغوي العربي، إذ لم يظهر بوصفه علماً مستقلاً منذ البداية، بل تَشكّل تدريجياً مع تطور الحاجة إلى فهم النص القرآني فهماً دقيقاً يقوم على ضبط العلاقات الإعرابية وتحديد وظائف التراكيب داخل الجملة القرآنية. وقد ارتبطت نشأة هذا التوجه بمرحلة مبكرة من تاريخ التفسير، حين أدرك العلماء أن اختلاف الإعراب يؤدي إلى اختلاف في المعنى، وأن ضبط البنية النحوية شرط أساس في استنباط الدلالة.وتعود البدايات الأولى للتوجيه النحوي للدلالة إلى جهود علماء اللغة الأوائل، وفي مقدمتهم سيبويه، الذي أسّس لنظرية نحوية تقوم على تحليل التركيب بوصفه مفتاحاً لفهم المعنى، حيث جعل الإعراب وسيلة لكشف العلاقات بين الكلمات داخل الجملة [7].وقد مثّل هذا التصور نقطة انطلاق نحو الربط بين النحو والدلالة، وإن لم يُصَغ بعد في إطار تفسيري مباشر للنص القرآني.ومع تطور الدراسات اللغوية، اتجه النحاة إلى توظيف قواعدهم في تفسير القرآن الكريم، فظهر ما يمكن تسميته بـ"النحو التفسيري"، حيث لم يعد النحو علماً وصفياً فحسب، بل أصبح أداة لتوجيه المعنى القرآني. وقد أسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي في وضع اللبنات الأولى لهذا الاتجاه من خلال ضبطه لبنية اللغة العربية وتحليله لأنماطها الصوتية والتركيبية [8].ثم جاء دور المدرسة البصرية والكوفية في تعميق هذا التوجه، حيث اتجهت كل مدرسة إلى توظيف القواعد النحوية في تفسير النصوص، مع اختلاف في بعض التقديرات الإعرابية التي أفرزت تعدداً في التوجيه الدلالي. وقد انعكس هذا التعدد بشكل واضح في كتب معاني القرآن، مثل كتاب الفراء الذي يُعد من أوائل الكتب التي ربطت بين النحو والتفسير ربطاً مباشراً [9].وفي مرحلة لاحقة، برزت كتب التفسير الكبرى التي جعلت من النحو أداة مركزية في توجيه المعنى، وعلى رأسها تفسير الطبري الذي اعتمد على اللغة والنحو في ترجيح المعاني التفسيرية، معتمداً على اختلاف الإعراب في بيان تعدد وجوه الدلالة [10].كما جاء الزمخشري في الكشاف ليؤسس لمرحلة أكثر نضجاً في التفسير النحوي، إذ جعل من الإعراب والتوجيه النحوي محوراً أساسياً في كشف البلاغة القرآنية [11].وفي السياق ذاته، أسهم ابن عطية الأندلسي في تطوير هذا المسار من خلال مزجه بين التفسير اللغوي والنحوي، مع ميل واضح إلى ترجيح الأوجه الإعرابية التي تخدم المعنى السياقي للنص [12].كما جاء أبو حيان الأندلسي ليؤسس اتجاهاً نحويّاً تفسيرياً دقيقاً في كتابه " البحر المحيط" ، حيث بالغ في تحليل التراكيب الإعرابية وتفكيكها لإبراز وجوه المعنى المختلفة [13]ولا يمكن إغفال دور كتب "إعراب القرآن" التي مثلت مرحلة نضج في هذا الاتجاه، مثل كتاب النحاس وابن الأنباري، حيث تم التركيز على الإعراب بوصفه مدخلاً مباشراً لتفسير المعنى القرآني، وإزالة الإشكالات الدلالية الناتجة عن تعدد الوجوه النحوية [14].كما أسهمت الدراسات البلاغية، وعلى رأسها عبد القاهر الجرجاني، في ترسيخ الفهم العميق للعلاقة بين النحو والدلالة، حيث أكد أن المعنى لا يتحدد باللفظ المفرد، بل بعلاقاته داخل التركيب، وهو ما يمثل أساس التوجيه النحوي للدلالة [15].وعليه يمكن القول إن نشأة التوجيه النحوي للدلالة في كتب التفسير واللغة العربية كانت نشأة تدريجية تكاملت فيها جهود النحاة والمفسرين واللغويين، حتى أصبح النحو أداة تفسيرية مركزية في فهم النص القرآني. وقد أسهم هذا التطور في بناء منهج علمي دقيق يقوم على

تحليل البنية اللغوية بوصفها مفتاحاً للدلالة، مما أظهر عمق التفاعل بين علوم العربية وعلوم التفسير، وأبرز جانباً مهماً من جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مرجعيات التفسير النحوي وأثر مدارس النحو في توجيه المعنى القرآني

تقوم مرجعيات التفسير النحوي على منظومة معرفية متكاملة من العلوم التي تشكلت في خدمة النص القرآني، وفي مقدمتها النحو، واللغة، والقراءات، والتفسير، والبلاغة. وقد أسهم هذا التداخل العلمي في بناء منهج تفسير يعتمد على تحليل البنية الإعرابية بوصفها مفتاحاً أساسياً لفهم الدلالة القرآنية وتوجيهها. فالنص القرآني، بما يتميز به من إحكام لغوي، جعل من المرجعية النحوية ضرورة علمية لا غنى عنها في استنباط المعاني وتحديد وجوهها المختلفة.وتأتي **اللغة العربية** في مقدمة هذه المرجعيات، باعتبارها الوعاء الذي نزل به القرآن الكريم، وقد اعتمد المفسرون على الشواهد اللغوية من الشعر والنثر في توجيه المعاني النحوية. وقد أشار ابن فارس إلى أن العربية تقوم على أصول ثلاثة ترجع إليها معانيها، وأن فهم النصوص لا يتم إلا بردّها إلى أصولها اللغوية [16]. أما **القراءات القرآنية** فقد شكّلت مرجعية حاسمة في التفسير النحوي، إذ إن اختلاف القراءات أدى إلى اختلاف في التوجيه الإعرابي ومن ثم تنوع في الدلالة التفسيرية دون تعارض في المعنى الكلي. وقد أكد أبو عمرو الداني أن القراءات تمثل وجوهاً لغوية معتبرة تُستثمر في فهم المعاني وتوسيعها [17].وفيما يتعلق بـ**مدارس النحو**، فقد كان لها أثر بالغ في توجيه المعنى القرآني، حيث أسهمت المدرسة البصرية في ترسيخ المنهج القياسي الدقيق في التحليل الإعرابي، بينما اتسمت المدرسة الكوفية بشيء من التوسع في قبول الشواهد وتعدد الأوجه الإعرابية، مما انعكس مباشرة على تنوع التفسير النحوي.فقد اعتمد البصريون على ضبط القاعدة وتقييدها، كما يظهر في كتاب سيبويه الذي وضع أسس التحليل النحوي الدقيق القائم على القياس[18]، وهو ما جعل توجيهاتهم تميل إلى الترجيح بين الأوجه الإعرابية وفق معيار القاعدة. بينما اتجه الكوفيون إلى الاستناد إلى السماع والشواهد، مما أتاح مساحة أوسع لتعدد التوجيهات النحوية في النص الواحد.وقد انعكس هذا الاختلاف في كتب التفسير، حيث نجد الطبري يميل إلى الجمع بين الأوجه النحوية والترجيح بينها وفق السياق[19]، بينما نجد الزمخشري يتبنى توجيهاً نحويّاً بلاغياً دقيقاً يجعل من الإعراب أداة لكشف النكت الدلالية في النص [20]كما أسهمت المدرسة الأندلسية، ممثلة بأبي حيان، في تطوير التفسير النحوي من خلال الجمع بين دقة الصناعة النحوية وعمق التحليل التفسيري، حيث كان يميل إلى استعراض جميع الأوجه الإعرابية الممكنة دون إهمال أي احتمال دلالي [21]ومن جهة أخرى، تمثل كتب التفسير اللغوي مرجعية أساسية في هذا السياق، حيث اعتمد الفراء في معاني القرآن على التحليل النحوي لتوجيه المعنى وإزالة الإشكال الدلالي[22]، مما يؤكد أن النحو كان أداة تفسيرية مبكرة وليست طارئة على الدرس القرآني.كما أسهم عبد القاهر الجرجاني في تأسيس رؤية نظرية عميقة للعلاقة بين النحو والمعنى، إذ قرر أن المعنى لا يقوم على المفردات بل على العلاقات التركيبية بينها، وهو ما يمثل الأساس النظري للتفسير النحوي[23]، وعليه يمكن القول إن مرجعيات التفسير النحوي تشكلت من تفاعل علوم متعددة، وأن مدارس النحو المختلفة قد أسهمت في توجيه المعنى القرآني عبر تنوع مناهجها بين القياس والسماع والتوسع، مما أفضى إلى إثراء الدلالة التفسيرية وإبراز سعة النص القرآني وطاقته التعبيرية، في إطار من الانسجام لا التعارض.

المطلب الأول: أثر الإعراب والتراكيب النحوية في تعدد الدلالة التفسيرية

يُعدّ الإعراب في العربية أحد أهم المفاتيح المنهجية لفهم النص القرآني وتوجيه دلالاته التفسيرية، إذ لا يقتصر دوره على بيان الوظيفة النحوية للكلمات داخل الجملة، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن العلاقات المعنوية العميقة بين مكونات التركيب. ومن هنا فإن اختلاف الإعراب في بعض التراكيب القرآنية يؤدي إلى تعدد في وجوه المعنى التفسيري، دون أن يخل ذلك بوحدة النص أو اتساق مقصده العام، بل يكشف عن ثرائه الدلالي واتساع طاقته التعبيرية.لقد أدرك علماء التفسير والنحو هذه الحقيقة مبكراً، فكانوا يربطون بين اختلاف الأوجه الإعرابية وتعدد المعاني المستنبطة من الآية الواحدة. ويبرز ذلك عند الطبري الذي كان يعرض الأوجه النحوية المختلفة ثم يرجح بينها وفق السياق العام، مبيناً أن اختلاف الإعراب يؤدي إلى اختلاف في توجيه المعنى دون تناقض [24].وهذا يدل على أن الإعراب عنده ليس مجرد ضبط شكلي، بل عنصر حاسم في إنتاج الدلالة.ومن أبرز صور أثر الإعراب في تعدد الدلالة التفسيرية ما يتعلق باختلاف موقع الكلمة من الإعراب، كأن تُقرأ كلمة على أنها مبتدأ أو مفعول به أو حال، فيتغير بذلك وجه المعنى. وقد أشار الزمخشري إلى أن تغيير موقع الكلمة في التركيب يؤدي إلى اختلاف في النكت البلاغية والدلالات التفسيرية، مؤكداً أن الإعراب هو "ميزان المعاني" في النص القرآني [25].كما يظهر أثر التراكيب النحوية في ظواهر مثل **الجملة الاسمية والفعلية**، إذ إن اختيار أحدهما في السياق القرآني يترتب عليه اختلاف في الدلالة بين الثبوت والتجدد، والاستمرار والحدوث. وقد نبه ابن هشام الأنصاري إلى أن التحول بين الأساليب النحوية ليس اعتباطياً، بل هو اختيار دلالي مقصود يخدم المعنى السياقي [26]ومن التطبيقات المهمة أيضاً أثر **التقديم والتأخير** في الجملة القرآنية، حيث يؤدي هذا الأسلوب إلى إبراز عنصر معين في الجملة وإعطائه أولوية دلالية، بما ينعكس

على فهم المعنى التفسيري. وقد تناول عبد القاهر الجرجاني هذا الجانب بعمق، مبيناً أن تقديم ما حقه التأخير أو العكس ليس مجرد تغيير في الشكل، بل هو نقل لمركز الدلالة داخل الجملة [27].كما يتجلى أثر الإعراب في **تعدد أوجه الإعراب للآية الواحدة**، حيث يذكر المفسرون أكثر من احتمال نحوي، وكل احتمال يفتح باباً دلالياً جديداً. ويظهر ذلك بوضوح في تفسير أبي حيان الذي يعرض الأوجه الإعرابية المتعددة، ثم يبين أثر كل وجه في المعنى، مما يدل على أن التعدد النحوي يقود إلى تعدد تفسيري منضبط [28]ويؤكد الفراء أن اختلاف الإعراب قد يؤدي إلى اختلاف في توجيه المعنى، خاصة في الآيات التي تحتمل أكثر من تركيب نحوي، وهو ما يجعل التفسير النحوي ضرورة لفهم مراد النص بدقة [29].كما أن سيبويه قد أرسى الأساس النظري لهذه العلاقة حين جعل الإعراب علامة على المعنى، وربط بين تغير الحركة الإعرابية وتغير الوظيفة الدلالية للكلمة داخل الجملة [30]وعليه يمكن القول إن الإعراب والتراكيب النحوية يمثلان محوراً أساسياً في إنتاج الدلالة التفسيرية للنص القرآني، إذ يسهمان في فتح آفاق متعددة للمعنى، دون أن يخرج النص عن وحدته الدلالية. فالتعدد الإعرابي في القرآن الكريم ليس اختلافاً متناقضاً، بل هو تنوع دلالي مقصود يكشف عن عمق البناء اللغوي للنص القرآني، ويبرز جانباً من إعجازه البياني الذي يتجلى في دقة التركيب وثراء المعنى.

المطلب الثاني: أثر الحذف والتقديم والتأخير في توجيه المعنى التفسيري

يُعدّ الحذف والتقديم والتأخير من أهم الظواهر النحوية ذات الأثر العميق في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني، إذ يقوم الخطاب القرآني على اقتصاد لغوي دقيق لا يخلّ بالمعنى، بل يرفعه إلى مستويات أعلى من البلاغة والاتساع الدلالي. فالحذف في القرآن الكريم ليس نقصاً في البنية، وإنما هو بناء دلالي مقصود يعتمد على فهم السياق واستحضار القرائن، بينما يمثل التقديم والتأخير وسيلة لإبراز عناصر معينة في الجملة وإعادة ترتيب مركز الدلالة بما يخدم المعنى التفسيري.وقد تناول النحاة والمفسرون هذه الظواهر بوصفها مفاتيح أساسية لفهم النص القرآني، حيث أكد الزمخشري أن الحذف باب عظيم من أبواب البلاغة، يُفهم به المراد دون الإخلال بالمعنى، بل مع زيادة في قوة الدلالة وإيجازها [31].ويشير هذا إلى أن الحذف في البنية النحوية يؤدي إلى إشراك ذهن المتلقي في استكمال المعنى، مما يفتح المجال لتعدد الفهم التفسيري ضمن حدود السياق.ومن صور الحذف في القرآن الكريم حذف المبتدأ أو الخبر أو الفعل، وهو ما يؤدي إلى تنوع في توجيه المعنى بحسب تقدير المحذوف. وقد أشار أبو حيان إلى أن تقدير المحذوف يختلف باختلاف السياق النحوي والبلاغي، مما ينعكس مباشرة على اختلاف التفسير [32].وهذا يدل على أن الحذف ليس مجرد ظاهرة أسلوبية، بل عنصر دلالي فاعل في إنتاج المعنى.أما **التقديم والتأخير** فيُعدّ من أبرز الآليات النحوية التي تسهم في توجيه الدلالة التفسيرية، حيث يؤدي تغيير ترتيب العناصر في الجملة إلى تغيير في الأولوية الدلالية. فقد يكون التقديم لإفادة الاختصاص أو الحصر أو الاهتمام، بينما يأتي التأخير لتحقيق انسجام سياقي أو إيقاعي. وقد قرر ابن هشام الأنصاري أن التقديم والتأخير لا يقعان إلا لغرض بلاغي، وليس لمجرد التغيير الشكلي[33]ويبرز أثر التقديم والتأخير بوضوح في كثير من الآيات التي يتقدم فيها المفعول أو الجار والمجرور على الفعل أو الفاعل، مما يؤدي إلى توجيه المعنى نحو الحصر أو الاختصاص. وقد أشار الرازي إلى أن هذا الأسلوب يفتح باباً واسعاً في تعدد وجوه التفسير بحسب اختلاف النظر إلى التراكيب[34].كما أن عبد القاهر الجرجاني قد أسّس رؤية بلاغية دقيقة لهذا الباب، حين أكد أن ترتيب الألفاظ داخل الجملة ليس عفوياً، بل هو جزء من بناء المعنى، وأن تغيير الترتيب يؤدي إلى تغيير في النكت الدلالية للنص[35] وهو ما يجعل التقديم والتأخير أداة مركزية في فهم الخطاب القرآني.ومن جهة أخرى، فإن الفراء قد أشار إلى أن العرب قد تقدم ما حقه التأخير لأغراض دلالية متعددة، وأن هذا الأسلوب وارد بكثرة في القرآن الكريم، ويُعدّ من مظاهر الإيجاز والبيان [36] ويؤكد هذا أن التقديم والتأخير ليسا خروجاً عن القاعدة، بل جزء من النظام اللغوي العربي.كما يظهر هذا الأثر بوضوح في تفسير الطبري الذي يوازن بين الأوجه الإعرابية المختلفة الناتجة عن اختلاف التقديم والتأخير، مبيناً أثر كل وجه في المعنى التفسيري[37] وهو ما يعكس وعيه العميق بدور البنية النحوية في إنتاج الدلالة.وعليه يمكن القول إن الحذف والتقديم والتأخير يمثلان آليتين مركزيتين في توجيه المعنى التفسيري للنص القرآني، حيث يسهمان في توسيع الدلالة، وإبراز المقاصد، وفتح آفاق متعددة للفهم، ضمن إطار لغوي منضبط. كما يكشفان عن دقة البناء النحوي في القرآن الكريم، وعن قدرته على إنتاج معانٍ متعددة من خلال أقل قدر من الألفاظ، وهو ما يُعدّ من أبرز وجوه الإعجاز البياني في الخطاب القرآني.

المطلب الثالث: أثر الاختلاف النحوي بين القراءات القرآنية في تنوع الدلالة التفسيرية

يمثّل اختلاف القراءات القرآنية أحد أبرز المجالات التي يتجلى فيها الأثر النحوي في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني، إذ إن هذا الاختلاف لا يقتصر على الجانب الصوتي أو اللفظي، بل يمتد إلى البنية النحوية ذاتها، بما يفضي إلى تنوع دلالي واسع يثري المعنى دون أن يوقع في التعارض أو التناقض. فالقراءات القرآنية المتواترة جاءت في إطار لغوي عربي فصيح، يعكس سعة النظام النحوي وقدرته على استيعاب تعدد

الوجوه الإعرابية ضمن النص الواحد.وقد أشار ابن الجزري إلى أن اختلاف القراءات هو اختلاف تنوع لا تضاد، وأن كل قراءة تمثل وجهاً صحيحاً من وجوه العربية، مما يدل على أن التعدد النحوي في القراءات يُعدّ جزءاً من الإعجاز القرآني[38]، وهذا يؤكد أن البنية النحوية في القراءات ليست ثابتة جامدة، بل مرنة تسمح بتعدد الدلالات في إطار وحدة النص.ويظهر الأثر النحوي في القراءات من خلال اختلاف الوظائف الإعرابية للكلمات، كأن تُقرأ الكلمة على الرفع في قراءة، وعلى النصب أو الجر في أخرى، مما يؤدي إلى اختلاف في توجيه المعنى التفسيري. وقد تناول أبو عبيد القاسم بن سلام هذا الجانب مبكراً، مبيناً أن اختلاف القراءات يؤدي إلى اتساع في المعنى لا إلى اضطراب فيه [39] كما يتجلى هذا الأثر في اختلاف بناء الجملة بين القراءات، كاختلاف الفعل والاسم، أو تقديم عنصر وتأخيره، أو اختلاف صيغ الأفعال، وهو ما ينعكس مباشرة على تعدد الدلالة. وقد أشار مكي بن أبي طالب إلى أن القراءات القرآنية تكشف عن وجوه نحوية متعددة، كل وجه منها يفتح باباً من الفهم والتفسير [40] ومن الناحية التفسيرية، نجد أن المفسرين الكبار قد أولوا القراءات اهتماماً بالغاً في توجيه المعنى، حيث كان الطبري يعرض القراءات المختلفة ثم يبين أثر كل قراءة في الدلالة، مرجحاً ما يراه أقوى سياقاً دون إلغاء بقية الأوجه[41] وهذا يعكس أن القراءات ليست مجرد اختلافات شكلية، بل أدوات تفسيرية قائمة بذاتها.كما أن ابن عطية الأندلسي قد أكد أن اختلاف القراءات يثري المعنى القرآني ويوسع دلالته، إذ يجعل النص الواحد قابلاً لوجوه متعددة من الفهم، كلها صحيحة في إطار اللغة والسياق[42] وهو ما يدل على أن التعدد النحوي في القراءات ليس اضطراباً، بل سعة دلالية مقصودة.ويبرز هذا المعنى أيضاً عند أبي حيان الأندلسي الذي كان يعرض القراءات من منظور نحوي دقيق، مبيناً أثر كل قراءة في تغيير العلاقات الإعرابية داخل الجملة، وما يترتب على ذلك من اختلاف في المعنى التفسيري[43]وهذا يعكس عمق العلاقة بين النحو والقراءة والتفسير في آن واحد.كما أن السيوطي قد جمع في الإتقان جملة من القواعد التي تؤكد أن اختلاف القراءات يؤدي إلى تنوع دلالي محكوم بالسياق اللغوي، وأن هذا التنوع من وجوه الإعجاز القرآني [44].ومن جهة أخرى، يبرز دور النحو الكوفي والبصري في توجيه القراءات، حيث كان لكل مدرسة أثر في ترجيح بعض الأوجه الإعرابية في القراءات، مما أضاف بعداً علمياً آخر للتنوع التفسيري. وقد انعكس هذا التعدد في كتب الاحتجاج للقراءات التي عنيت ببيان الأوجه النحوية لكل قراءة.وعليه يمكن القول إن الاختلاف النحوي بين القراءات القرآنية يمثل أحد أهم مصادر تنوع الدلالة التفسيرية، إذ يكشف عن طاقة لغوية هائلة للنص القرآني، وقدرته على استيعاب وجوه متعددة من الفهم دون أن يفقد وحدته أو انسجامه. كما يؤكد أن النحو في سياق القراءات ليس علماً تقعيدياً فحسب، بل أداة تفسيرية حيوية تُظهر عمق الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية في رحاب الأثر النحوي في توجيه الدلالة التفسيرية للنص القرآني، يتبين أن القرآن الكريم نصٌّ لغوي معجز تتداخل في بنائه المستويات النحوية والدلالية والتفسيرية بصورة تجعل من النحو مفتاحاً أساسياً لفهم مراد الله تعالى، وكاشفاً عن عمق البنية البيانية للنص القرآني واتساع دلالاته. وقد أظهرت الدراسة أن العلاقة بين النحو والتفسير ليست علاقة مساعدة فحسب، بل علاقة تأسيسية يقوم عليها فهم المعنى وتوجيه الدلالة واستنباط الأحكام.وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج العلمية، من أبرزها:

١.أن الأثر النحوي يُعدّ عنصراً محورياً في تشكيل الدلالة التفسيرية للنص القرآني وليس عنصراً شكلياً أو ثانوياً.

٢.أن اختلاف الإعراب في الآيات القرآنية يؤدي إلى تعدد في وجوه التفسير دون تعارض في المعنى الكلي.

٣.أن التراكيب النحوية تمثل بنية دلالية تتحكم في توجيه المعنى القرآني وتحديد مساراته التفسيرية.

٤.أن ظواهر الحذف والتقديم والتأخير تسهم في توسيع الدلالة وإبراز مقاصد بلاغية متعددة.

٥.أن القراءات القرآنية تمثل مصدراً مهماً للتنوع النحوي والدلالي في التفسير.

٦.أن مدارس النحو المختلفة أسهمت في إثراء التفسير القرآني من خلال تعدد مناهجها في التحليل.

٧.أن التفسير النحوي كان حاضراً بقوة في كتب التفسير الكبرى مثل الطبري والزمخشري وأبي حيان.

٨.أن النحو العربي تطور من علم وصفي إلى أداة تفسيرية مركزية في فهم القرآن الكريم.

٩.أن التنوع النحوي في النص القرآني يعكس سعة في الدلالة وعمقاً في الإعجاز البياني.

١٠.أن دراسة الأثر النحوي في التفسير تفتح آفاقاً جديدة في فهم النص القرآني وربطه بالتحليل اللغوي المعاصر.

وفي الختام، يتضح أن النحو العربي ليس مجرد قواعد لغوية جامدة، بل هو علم حيّ يتفاعل مع النص القرآني ليكشف عن طاقاته الدلالية العميقة، ويبرز وجوه إعجازه المتجددة، مما يجعل دراسة الأثر النحوي في التفسير ضرورة علمية لفهم الخطاب القرآني فهماً دقيقاً وشاملاً.نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويبارك فيه، ويجعله علماً يُنتفع به في خدمة كتابه العزيز.والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١.إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٢.الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٣.البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤.البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٥.التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، تحقيق: أوتو تريزل، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧.دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٨.العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

٩.فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، ط١، دار ابن كثير، دمشق–بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٠.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١١.الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٢.الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٣.الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٤.معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٥.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

١٦.مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٧.مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٨.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٩.النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٤٥هـ.

هوامش البحث

[1]() البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٥٦/٢ .

[2]() الكتاب، سيبويه، ٣٤/١.

[3]() مغني اللبيب، ابن هشام، ١٩/١.

[4]() جامع البيان، الطبري، ٨٧/١.

[5]() الكشاف، الزمخشري، ١١٢/١.

[6]() الخصائص، ابن جني، ٣٠١/٢.

[7]() الكتاب، سيبويه، ٥٢/١.

[8]() العين، الخليل بن أحمد، ١٨/١.

[9]() معاني القرآن، الفراء، ٧٣/١.

[10]() جامع البيان، الطبري، ١١٩/٢

[11]() الكشاف، الزمخشري، ١٤٥/١.

[12]() المحرر الوجيز، ابن عطية، ٩٨/١.

[13]() البحر المحيط، أبو حيان، ٦٣/١.

[14]() إعراب القرآن، النحاس، ٤١/١.

[15]() دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ١١٢/١.

[16]() مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٧/١.

[17]() التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، ٣٣/١.

[18]() الكتاب، سيبويه، ٧٨/١.

[19]() جامع البيان، الطبري، ٥٤/٣.

[20]() الكشاف، الزمخشري، ٢٠١/١.

[21]() البحر المحيط، أبو حيان، ٤٥/٢.

[22]() معاني القرآن، الفراء، ٩١/٢.

[23]() دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ١٤٥/١.

[24]() جامع البيان، الطبري، ١١٢/٤.

[25]() الكشاف، الزمخشري، ٢٣٨/١.

[26]() مغني اللبيب، ابن هشام، ٦٧/١.

[27]() دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ١٩٨/١.

[28]() البحر المحيط، أبو حيان، ٧٦/٣.

[29]() معاني القرآن، الفراء، ١٣٣/٢.

[30]() الكتاب، سيبويه، ١٠٢/١.

[31]() الكشاف، الزمخشري، ٥٤/٢.

[32]() البحر المحيط، أبو حيان، ١١٨/٤.

[33]() مغني اللبيب، ابن هشام، ٤١/٢.

[34]() مفاتيح الغيب، الرازي، ٧٣/٥.

[35]() دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٢٤٥/١.

[36]() معاني القرآن، الفراء، ١٦٧/٢.

[37]() جامع البيان، الطبري، ٩٢/٦.

[38]() النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٤٥/١.

[39]() فضائل القرآن، أبو عبيد، ١٠٢/١.

[40]() الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، ٦٣/١.

[41]() جامع البيان، الطبري، ١٣٧/٨.

[42]() المحرر الوجيز، ابن عطية، ٨٨/٢.

[43]() البحر المحيط، أبو حيان، ١٢١/٥.

[44]() الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١٨٤/٢.